وقد يعني ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ﴾ غير الرسول ﷺ فإنه لا يولي فراراً من آية إلهية ولا يملأ منها رعباً[1] أم إنها تُحيل الاطلاع عليهم لأنهم أموات وليسوا نياماً، ثم تولّي الفرار والرعب على فرض الاطلاع لسواه دونه!

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الذي فعلنا من آيات خوارق للعادات في الضرب على آذانهم سنين عدداً وتقليبهم فيها ذات اليمين وذات الشمال، وتزاور الشمس عنهم، وقرضها إياهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ آية أخرى ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عن مكثهم وبعثهم كغاية أولى لأنفسهم، ومن ثم لمن سواهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ . . .﴾!

تساؤلاً بينهم ينبِّههم بإجابة المقال والحال أن للحق دولة وللباطل جولة، أنهم يفركون أعينهم من هذه النومة الطائلة الثقيلة فيسأل سائلهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾؟ ولأنه لا يدري كم لبثوا، فيأتي الجواب ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ تردداً لهم كلهم، أو اختلافاً بينهم في «يوم أو بعض يوم» إجابة دون تعمق وتأنّق، تلوح من ظاهر النوم: ثقيلاً بعض يوم، أم أثقل فيوم أو أن ﴿يَوْمًا﴾ بتخيل أنهم استيقظوا في مثل الوقت الذي ناموا فيه صباحاً أو مساءً فـ ﴿يَوْمًا﴾ أو أخطأوا المثل فظنوا المساء صباحاً أو الصباح مساء وقد ناموا خلافه فـ ﴿بَعْضَ يَوْمٍ﴾ والنوم يقتضي هكذا تردُّد في أمده وحدِّه، أو أنهم

(١) في تفسير العياشي عن محمد بن سنان البطيخي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في الآية قال: إن ذلك لم يعن به النبي ﷺ إنما عنى به المؤمنون بعضهم لبعض لكن حالهم التي هم عليها.

ناموا غدوة وبعثوا آخر النهار فظنوا أنهم لبثوا يوماً، فلما رأوا الشمس باقية قالوا ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ولذلك تقدم ﴿يَوْمًا﴾ على ﴿بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أم ماذا؟

﴿قَالُواْ﴾ جماعة آخرون وعلّ السائل منهم فطَرفَان، أم ليس منهم فثلاثة ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فلسنا نحن له بعالمين، إذ نتلمّس خارقة في نومتنا لم نلمسها في سائرها حيث الشعور طويلة كما الأظفار، والوجوه متغيرة، ما لا يحصل في أية نومة، فلا يوم ولا بعض يوم! وليس «وأعلم» هنا فقط تأدباً فإنه ليس قولاً ورأياً ثانياً يجعل قائليه حزباً ثانياً، ولا أنه إحصاء ثان ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ وإلّا لقالوا «ربكم أعلم بما لبثنا» لا ﴿رَبُّكُمْ﴾!

إنما «أعلم» لأن لنا بعض العلم بأمد لبثنا اعتباراً بمظاهرنا، ثم لا نعلم أمدنا إحصاء تاماً بل ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ...﴾.

ومن لطيف الأمر في هذه الحوار أنها تلمح أنهم لم يكونوا أقل من سبعة: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ فواحد ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أقلهم ثلاثة فإنها أقل الجمع ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ كذلك إضافة إلى جمعي «كم وتم» حيث يؤكدان جمع الأوّل كما أن ﴿قَالُواْ﴾ دليل الجمع الثاني! وإذا حصرت الأقوال في عدتهم في: ثلاثة - خمسة - سبعة، فالأولان مرفوضان والثالث متعين، ولا سيما بما يأتي من رجم الغيب لهما دونه[1] وهذا هو شأن المؤمن: «ربنا أعلم» فيما لا يعلم، أم يعلم ولا

(١) هنا احتمالات سته - ١ - ﴿قَالَ قَآئِلٌ﴾ [الكهف: ١٩] واحد ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا...﴾ [الكهف: ١٩] ثلاثة ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾ [الكهف: ١٩] ثلاثة والمجموع سبعة - ٢ - ﴿قَالُواْ﴾ في كل اثنان، أحدهما في الثانية هو القائل الأوّل فالمجموع أربعة، أم ليس هو هو فخمسة، أو ﴿قَالُواْ﴾ في أحدهما اثنان وفي الآخر ثلاثة، واحد من الثاني هو الأول فخمسة أم لا فستة، فالأربعة والستة خلاف الأقوال الثلاثة في الآية (٣٢) والخمسة تخالف ظاهر الجمع أنه ثلاثة فما فوق، فالمتعين هو السبعة حيث الأول ﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ [يُوسُف: ١٠] ليس في ﴿قَالُواْ﴾ الثانية وهو لا ينافي في ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢] فإنه ليس حزباً ولا داخلاً في أي الحزبين تأمل.

يستيقن، وكيف يعلم ما يعلمه الله من أمره الذي لا يعلم؟ يحاول بما عنده من وسائل ليعلم ومنها هنا: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. . .﴾ يتبين لكم من نومكم ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أم دهراً طويلاً قضي على السلطات الطاغوتية في المدينة، فإن كانت السلطة باقية فـ ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: والظاهر إنها باقية باغية! وإن لا، فلا حائطة ولا تقية!

ترى وماذا يحملهم أن يبعثوا أحدهم بورقهم ليأتهم برزق من المدينة وهم يحذرون أن ينكشف أمرهم؟ فهلا صبروا على جوع حفاظاً على أنفسهم جميعاً! وهم يعلمون ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ وإنها للخسارة الكبرى!

علّهم وصلوا من الجوع لحد لا تصبّر عليه إلّا الموت صبراً، فهم إذاً بين موت معمّد جماعي قاطع، وبين تعريض واحد منهم لخطر يُحتمل، وهو طبعاً ممن يتستر في أمرهم ويستّرهم دون إشارة إليهم مهما بلغ أمره، حيث التلطّف هو التخفي الكامل، ومن ثم لو عرفوه فلا يتجاوز نفسه إليهم: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

رأي صائب ثاقب حصيلة شورى بين هؤلاء الأكارم القائلين: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فيه كل حائطة على المبعوث بورقهم وعليهم، تتبين من ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أيّ المدينة أزكى. . حيث يحمل سيراً رفيقاً حثيثاً في المدينة يتعرف فيه إليها وإلى أهليها ليطمئن إليها هل هي كما كانت فحذراً، أم تغيرت إلى الإيمان فأماناً، ومن ثم ليحصل على أزكى طعام فيها إذا ظلت في إشراكها بالله، فليس لموحد أن يتطعم من مشركين طعاماً يحلّلونه خلاف شرعة الله، وأما عند الضرورة ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ تقليلاً لرجاسة الطعام الشركية كتقليل الطعام لبلغة الحياة: فالضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها!

ومن جهة أخرى فالأزكى طعاماً من المدينة هو الأزكى أخلاقاً فلا يتجسس عن خبايا الناس، ولا يتحسس لصالح الطاغوت مهما كان مستضعفاً في حكم الشرك، فهذه أبعاد ثلاثة من المصالح في ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾...!.

و﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ هنا تشمل زكاة الحل وزكاة الطهارة والطيبة قدر الإمكان فما لا يُدرك كلُّه لا يترك كله ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ومنه في ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ راجع إلى الورق وإلى الطعام، رزق من الورق دون زيادة عليه وإن كان النقص منه، ورزقٍ من الطعام كبلغة الحياة دون زيادة عليها ولا أقل منها.

ومن ثم تتبين هذه الحائطة من ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ تكلُّفاً لإخفاء أمره، ورفقاً ولیناً في المعاملة تجنباً عن المشاجرة التي هي من أسباب التفتيش عنه فعنهم وواويلاه! ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ إن شعروا به أم ماذا؟ فليكن صَلِباً صلداً لا يمد إلى أحد شعرة وإشعاراً فشعوراً مهما أفرغت عليه الضغوط ولحد الموت، حفاظاً على إيمانه وعلى دماء ونفوس الآخرين:

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾:

الظهور على هو التطلع علماً وواقعاً، فليس العلم بهم دون الوصول إليهم ظهوراً عليهم، ولا الوصول إليهم دون علم بهم ظهوراً عليهم، إنما هو الوصول المطلع كما ﴿ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[2] تعنيه، فلا علم الطفل دون بلوغ الحلم بعورات النساء يكفي فرض الحجاب عنهم، ولا الوصول إلى عوراتهن دون علم أنها مواضع الشهوات يكفي، وإنما الظهور على العورات علماً بها وإمكانية الوقاع!

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

إن أشعر هذا المبعوث بكم، تخللوه إلى العلم بكم اطلاعاً عليكم وهم بعاد، ثم التطلُّع عليكم حتى تصبحوا في قبضتهم فيقع المحظور بين أن ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قتلاً فضيحاً منفوراً مطروداً، ولكي يشتركوا فيه كلهم إذا كانوا كلهم مشركين، أم وأشد تنكيلاً ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ حملاً على الإشراك وإن في ظاهر الحال حيث العقيدة لا تقبل الإكراه.

هنا يتقدم الرجم لأنه ظاهر الحال العاجلة من السلطة المشركة التي كانت في طلبهم وهم على ما هم من تصلّب العقيدة وتصلّدها، ومن ثم لو نجوا عن الرجم فإعادة إلى ملتهم وهي أشد من الرجم وأنكى!.

ترى وإذا اتقوهم في ظاهر الحال مسايرة عملية مع الحفاظ على إيمانهم أليسوا إذاً مفلحين؟ ولكنما الدخول في جوّ التقية دونما إكراه ضلال، حيث يقضي على عمل الإيمان، ومن ثم القضاء يتسرب للقضاء على نفس الإيمان، حيث التعوّد المسيِّر على ترك واجبات الإيمان وفعل محرماته، مما يجرف تدريجياً إلى ترك الإيمان وليسوا هم بطبيعة الحال ممن يكتفي منكم بظاهر ادعاء العودة في ملتهم بعدما قمتم قومتكم في رفضها، إلّا أن يراقبوكم رقابة تامة في القيام بطقوس الشرك وترك التوحيد بكل مظاهره.

فـــ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ... وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أن ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ وكذلك أن ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ حيث الظهور عليكم المخلَف وراءَه رجمكم إلقاءٌ لأنفسكم بأيديكم إلى التهلكة! فلو ماتوا جياعاً خير لهم من أن يذهبوا ضياعاً: رجماً انتهارياً أم عوداً في ملة الشرك اختيارياً حيث الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار!

وليس طلب البلغة والبُقية للحياة مما يسمح لإلقاء النفس إلى التهلكة رجماً أم عوداً في ملة الشرك، اللّهم إلا بحائطة قاطعة أن ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، ولو شعروا فلا نتحمل إلّا رجماً!

وإعادتهم في ملتهم دليل على أنهم كانوا على ملتهم ثم استبصروا وكما نتلمحه من «إذ قاموا فقالوا ربنا الله لن نشرك به أحداً» أو أنهم كانوا لردح من الزمن يسايرونهم في ظاهر الشرك تقية نقية اضطرارية، والعودة إلى هذه الحالة اختيارياً عود في ملة الشرك وإن كان ظاهرياً وهذا أظهر من العودة قضية كونها كالبدأة ولا عودة اضطرارياً إلى عقيدة.

فعلى المؤمن الفرار من جو الضلال والتقية، ثم ليس له الرجوع إلى ذلك الجو إلّا لمرجح أهمّ، أو الإقدام على ما يحتمل الرجوع اضطرارياً لواجب أهم رعاية للحائطة، فلا تقية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[1] وهنا يذهب الإيمان ويذوب وليست تقية إكراه حيث التسبب إلى الانحصار في مجتمع الكفر والانحسار عن خالص التوحيد كان نتيجة الاختيار، وأرض الله واسعة تفرض على المؤمن الفرار بإيمانه، فكيف الرجوع إلى جو اللّاإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[2].

هكذا نشهد مشهد فتية الإيمان إذ يتناجون فيما بينهم حذرين غير عارفين بكرور الأيام ومرور الأعوام، فقد دارت عجلة الزمان فتعاقبت أجيال واختلفت أميال، فمدينتهم التي هاجروها تغيرت عوالمها ومعالمها، ودالت دولات المتسلطين عليها وقصة الفتية تناقلتها الأخلاف عن الاسلاف على تعارض الأقاويل حولهم.

ومن ثم الآن أهل المدينة مؤمنون، شديدو الحفاوة بالفتية المؤمنين، وبعدما رأوا واحداً منهم بصورة وسيرة أخرى وبورق آخر مرت عليه الزمن:

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة النساء، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾:

الإعثار هو الاطلاع مضمَّناً مصادفة الشيء من دون طلب له ولا إحساس به وأصله أن الساعي في طريقه إذا صك قدمه أو نكب إصبعه شيءٌ ففي الأغلب أنه يقف عليه متأملاً له فكأنه استفاد علمه دون أن تتقدم معرفته به، وكذلك أعثرهم الله عليهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الذي حصل من آيات أصحاب الكهف: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[1] تتلوها آية أخرى هي أن ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾ أهل المدينة ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ لأمرين اثنين للذين عثروا، بعد أمر هام لأصحاب الكهف «ليتساءلوا» أمرٌ أوّل ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ وثانٍ: ليعلموا ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ...﴾[2].

وهل ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أصحاب الكهف؟ وهم كانوا على علم بحق الوعد لهم وأن الساعة آتية! اللهم إلّا عين اليقين بما رأوا من وعد الله الحق في أمرهم الرشد والمرفق، وعين اليقين بما رأوا من بعثهم بعد نومتهم التي هي كانت كموتة!

كذلك و﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ من أعثروا عليهم نفس العلم مهما اختلفت الدرجات، وليعلم من يسمعها، فـ ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ يشملها وسائر من يعلم قصتهم على مر الزمن.

ترى أنه أعثر عليهم وهم أحياء؟ فلماذا ﴿يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾ ولهم أن يسألوا أصحاب الكهف أمرهم! وكيف قالوا ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ وهم بعدُ أحياء!

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٢) سورة طه، الآية: ١٥.

أم أعثر عليهم بعدما ماتوا فقد سدل الستار على مشهدهم لعرض مشهد آخر وبينهما فجوة متروكة فيها موتهم؟ فللتنازع في أمرهم هنا موقع، ولبناء بنيان عليهم هنا معنى!

أم بين ذلك عوانٌ، أعثر على أحدهم المبعوث إلى المدينة حياً وهو طبيعة الحال المعلومة من القصة، ومن ثم أعثر على الباقين ميتين و﴿ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ إنما غلبوا بمبعوثهم على أمرهم من طول شعوره وأظفاره ومن قديم ملابسه وقديم ورقه ولهجته ومواجهته دون أن يشعر هو بشيء من ذلك اللّهم إلّا حالته الظاهرة التي لا تخفى على ذي حجى!، أم أعثر عليهم وهم أحياء، وفور العثور أماتهم الله، فلم يبق لغلب على أمرهم مجال اللّهم إلّا من مبعوثهم لجماعة خصوص اختصوا بالغَلَب به على أمرهم؟

حقاً لا يستفاد من آيات القصة أنهم أعثروا عليهم بعد موتهم! وليس في هكذا إعثار عِلمٌ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[1] إلا أن يروهم أحياءً عن نومتهم، ثم أماتتهم عن حياتهم في رقدتهم.

ولا نعلم بموتهم فور العثور عليهم دون إمهال إلّا من خلال ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ و﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾!

وذلك إعثار مثمار أن يشهدوا مشهد أصحاب الكهف أحياءً وأمواتاً، فيعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فيما حقق لهم وفي إتيان الساعة، ويعلموا ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾.

وأما أن يشهدوهم أمواتاً فلا مَعْلَمة فيها، اللّهم إلّا إعثارهم على مبعوثهم فقط حيّاً، وهذا لا يلائم تنازع أمرهم بينهم وبناء بنيان عليهم أم هو بعيد![2].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧.

(٢) في بعض روايات القصة أنهم لما هربوا واطلع الملك على أمرهم افتقدهم ولم يحصل منهم =

ترى وما هي مادة التنازع في أمر أصحاب الكهف بين هؤلاء الذين أعثروا عليهم؟ هل هي أمر مكوثهم الخارق للعادة؟ فطائفة منهم تغامضوا عن كونها آية للبعث وأن الساعة آتية لا ريب فيها فقالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ﴾ بنياناً يخفي أمرهم، فنحن لا ندري من أمرهم شيئاً فلنجعله في زمرة المجاهيل المغافيل ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ليكونوا عبرة للزائرين ومعبداً للساجدين، دليلاً على التوحيد ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ وهم الموحدون الذين عرفوا أمرهم، لا السلطة الزمنية إذ لا تختص بهذه الغلبة دون الشعب، والسلطات الزمنية في الأغلبية الساحقة مهدمة المساجد لا معمرتها، ثم ومن يجرؤ على المنازعة مع السلطة مع تقديم الرأي ضد السلطة، فإنما هم الغالبون على أمر أصحاب الكهف قضية قوة الإيمان!

ومادة أخرى بين الذين غلبوا على أمرهم، وتنازعوا فيها رغم الوحدة في آية نومهم، هي أمد لبثهم أمّاذا من أمرهم ومن ثم التنازع في عدتهم، وطبعاً لمن لم يغلب على أمرهم ومن أظهره عدتهم:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾:

= على أثر، وفي بعض أنه وجدهم نياماً في كهفهم فأمر أن يبنى على باب الكهف بنيان ليحتبسوا فيموتوا جياعاً عطشى فبقوا على حالهم حتى إذا أراد الله أن ينبههم بعث راعي غنم فخرب البنيان ليتخذ حظيرة لغنمه وعند ذلك بعثهم الله أيقاظاً وكان من أمرهم ما قصه الله، وفي بعض أنه لما ظهر أمرهم أتاهم الملك ومعه الناس فدخل عليهم الكهف فكلمهم فبينا هو يكلمهم ويكلمونه إذ ودعوه وسلموا عليه وقضوا نحبهم وفي بعض أنهم ماتوا أو ناموا قبل أن يدخل عليهم الملك وسدّ باب الكهف وغاب عن أبصارهم فلم يهتدوا للدخول فبنوا هناك مسجداً يصلون فيه - أقول ولا نقول إلّا ما يوافق القرآن وقد نتحمل ما لا يخالفه.

فيما مضى عرفنا من حوار أصحاب الكهف في ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أنهم لم يكونوا بأقل من سبعة، وهنا نتأكد أنهم سبعة، فإن ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ترجم القولين دون السبعة، ثم لا رجم على ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ فلو كان مثلهما، لردف بهما في ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أم لو كان المرجوم أحد الأولين فقط لاختص هو بالرجم دون الآخر، وهذه من بلاغة الكلام القمة ولباقته أن يذكر القول الحق بين الأقاويل دونما تصريح به لكي يحث على التفكير، ويبتعد عن التنكير النكير، حيث الاصطدام بين القائلين والاحتدام بين الأقوال لا يخلي أي مجال لقول صراح، اللّهم إلّا تلميحة هي أبلغ من تصريحة.

والرجم بالغيب أصله الرمي بالحجارة إلى مرمى مجهول لا يدري الرامي أيصيب هدفه أم يخطىء، وقد لا يكون له هدف، ثم استعير لكل قذف بالظن والحسبان، والقول بغير علم، ومن عادة العرب أن تسمي القائل من دون علم راجماً وقاذفاً، كما تُسمي السابّ الشاتم رامياً راجماً، ويقال: هذا الأمر غيب مرجَّم، أي: يرميه الناس بظنونهم ويقدرونه بحسبانهم.

فالراجم بالغيب كالراجم الذي لا يعلم مواقع أحجاره المرمية أين وقعت، فتارة يمنة وأخرى يسرة، وهنا ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ يرجم «ثلاثة وخمسة» على ما في القولين من سوء التعبير ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ . . . سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ كأن كلبهم منهم، فالأربعة أو الستة كلهم كلاب، أم كلهم أو أدِم، دونما عطف لكلبهم عليهم، يدل على المغايرة، كما يدل على ردفه بهم، ولكنما القول الثالث ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فيه رعاية الأدب بواو العطف، فردف الكلب بهم دون عطف يجعل جملة الكلب صفة لهم أو حالاً منهم فـ «رابعهم كلبهم وسادسهم» وصفان لـ «ثلاثة وخمسة» أو حالان، وفيه إزراء بساحة فتية الإيمان ومس من كرامتهم، والعطف يخرجها عن وصفهم أو حالهم حيث يفيد الردف بين متغايرين متوافقين، تغايراً في الكيان وتوافقاً في